

خارج العالم الإسلامى

تمتد النزاعات والفتن التى يكتوى بنيرانها المسلمين تجد هذا من أقصى دول العالم إلى أقصاها فى كشمير بين الهندوس والمسلمين. وفى روسيا بين الشيشان والروس. وفى البوسنة والهرسك بين المسلمين وبين الصرب. وفى قبرص بين القبارصة الأتراك وبين القبارصة اليونانيين. وفى الصين بين الإيجور المسلمين وبين غير السلمين فى إقليم شينجيانج (تركستان الشرقية). وفى تايلاند بين المسلمين وبين البوذيين.

وفى الفلبين بين المسلمين وغير المسلمين فى منطقة أو جزيرة مينداناو. وبات مألوفاً فى ظل هذه الأوضاع البائسة، أن يشار إليهم بأصابع الاتهام عند وقوع حادث إرهابى ونسبته إليهم من منطلق هذه الخلفية وتعدى ذلك إلى أن أصبحت المظاهر الإسلامية مرفوضة فى دول الغرب، مثل: لبس الحجاب، أو ذبح الأضاحى. فإنها تحارب من الأوربيين باعتبار الحجاب رمزا للقهر والاستعباد وليس رمزا للهوية الإسلامية. أما ذبح الأضحية فهى قسوة مفرطة بالحيوان يتعارض مع حقوق الحيوان.

أهمية التماس الحلول من داخل المنظومة الإسلامية

حتمية العمل الجاد الواعى المخلص لدرء الشبهات، وتصحيح صور الإسلام فى ضوء هذا الفرع فإن صورة الإسلام والمسلمين الراهنة فى المجتمعات

الإسلامية ، وفي النطاق العالمى تبعث على الأسى وتثير الحزن ، لكنها تتطلب وتستوجب الخروج من هذا المأزق وتبنى خطة ترسم معالمها فى عمل جاد واع ومخلص ، يعمل على رد الشبهات عن الإسلام وتصحيح صورة هذا الدين.

إبراز حقيقة الإسلام بالرد على المزاعم الغربية

حيث إن الإسلام دين يغرس الهدايات الإيمانية ، ويكرس العبادة لله وحده رب العالمين ، باعتباره خالق الوجود الحقيق بالعبادة.

﴿إِنِّى أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى﴾ [سورة طه : الآية ١٤].

فإنه يقدم رؤية ناصعة عن الدين الصحيح الذى يحدد مقومات الرسالة الإلهية والأصول التى تتأسس عليها ، وهو ما يدحض مقولة إن الإسلام هو خليط من بقايا تحريف الوثنية.

الحرية أساس إسلامى

يرسى الإسلام الحرية الإيجابية والبناءة فى علاقة الإنسان بالإنسان ، على مستوى الفرد ، وعلى نطاق الجماعة ، فالعبودية إنما تكون لله وحده ، والبشر أحرار ومتساوون فى مواجهة بعضهم البعض ، لكنها الحرية المسئولة لا الحرية المنفلته.

﴿إِن كُلُّ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [سورة مريم : الآية ٩٣]. وهى بهذا المعنى تحمل فكر المساواة بين البشر على اختلاف أحوالهم.

وفى الحديث: «الناس سواسية كأسنان المشط»، والله خلق الناس مختلفين فى الأجناس والأديان والألوان والأوطان وفقاً للمشيئة الإلهية والسنن الكونية. كما أنهم مختلفون فى الأفكار والآراء، عليهم واجب التفكير فى الملوكوت الإلهى واسكناه أسرار الكون وتوظيف الإبداع العلمى والمعرفى لتقدم الإنسان وبهذا يعترف الإسلام باختلاف الآراء والأفكار. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية: الآية ١٣].

وقانون الاختلاف معترف به فى الإسلام

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة الشورى: الآية ١٠].

واختلاف البشر سنة كونية وآية ثراء فى الخلق والكون وتعبير عن ملكة الإبداع: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [سورة هود: الآية ١١٨].

لهذا كانت الدعوة إلى الإنسانية والتعايش مطلوبة فى الإسلام. والدعوة إلى الإنسانية والتسامح جد مطلوب فى النصوص الإسلامية كوسيلة لا مفر منها لتشييد العلاقات بين الأمم والشعوب: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٣].

والتعارف يقتضى التفاهم والتآلف، وهى درجة تعلق درجة التعايش المشترك، مما يجعل التعايش متحققا لبلوغ التفاهم والتآلف. كما أن فكر العنصرية والاستعلاء مرفوض فى الإسلام بمقتضى وحدة الخلق والنشأة.

وفى الحديث الشريف، تقرير لوحدة الأصل الإنساني، والمشارك
الحضارى: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم،
وآدم من تراب، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى».

الوفاق وعدم التشرزم والفرقة ركيزة إسلامية

فالإسلام يدعو إلى الوفاق وجمع الشمل، ويمنع التنزاع وينهى عن
الصراع، ويعمل على وأد الفتنة فى مهدها، فالفتنة نائمة ملعون من أيقظها،
وما ذلك إلا بسبب المخاطرة الناتجة عنها وتهديدها لنظام المجتمع:
فى القرآن الكريم يقول الله تعالى:

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩١].

﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١٧].

﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُكْفَرُوا بِكُمْ تَكْفُورًا﴾ [سورة الأنفال: الآية ٤٦].

والمسلم مأمور بالوحدة ونبذة الفرقة والانقسام»

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ
كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [سورة آل عمران:
الآية ١٠٣].

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٥].

وفى السنة المطهرة: يقول الرسول ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على
قلب رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه بالسيف
كائنا من كان».

وفى الحديث: «إذ التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار».

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

فهذا الفكر يرسخ الأمان فى المجتمع ، ويجعل من الأمن والاستقرار وسيلة قوة للنظام الإسلامى .

نداء الإسلام يؤصل العالمية، والرحمة بالإنسانية

ذلك أن الخطاب الإسلامى منحاه العموم والشمول للبشر جميعا، وتجلياته تبرز فى توجيه الخطاب للبشرية، وتصديره بـ يا أيها الناس : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِى الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا﴾ [سورة البقرة: الآية ١٦٨]. ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُوْلُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الاعراف: الآية ١٥٨]. ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيْرًا وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء: الآية ١]. بل إن رسالة الإسلام جاءت رحمة للبشرية كلها، وهى رسالة تبشير وتيسير، لا تنفير ولا تعسير.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِيْنَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧]. ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: الآيات ٤٥ - ٤٦].

هذه المساحة الرحبة فى الخطاب العالمى تتسع ليشمل الرجل والمرأة تأسيسا على أن الأصل المساواة بينهما فى الحقوق والواجبات إلا ما استثنى بنص خاص، ويقرر الإسلام الشخصية الأصيلة للمرأة فى الخلق وفى المجتمع . فى الحديث: «النساء شقائق الرجال».

وأنهما فى التكليف واستحقاق الأجر سواء.
وفى القرآن:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٧١].

والرجل والمرأة مدعوان معا للعمل البناء النافع للأسرة والجماعة:
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل: الآية ٩٧].
كما أن لكل منهما أن يتبوأ المكانة التي يستحقها بحسب إمكاناته وجهده أن يحصل على نصيبة على وفاق ما يؤدى، ويؤجر على قدر ما يعطى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا ﴾ [سورة النساء: الآية ٣٢].

ومفاده أن المرأة شريك الرجل ورفيقه على درب البناء والعطاء، وقد كانت المرأة شريكة للرجل فى الغزوات على عهد الرسول ﷺ.
كما أرسى المرأة حجر الأساس لإقامة صرح دولة المدينة وبايعت بعض النساء مع الرجل الرسول -صلوات الله عليه - وكانت طرفا ومكونا فاعلا فى العقد الاجتماعى الذى شيد الدولة الإسلامية، وأرسى دعائمها. وساهمت المرأة مع الرجل فى العمل الاقتصادى، كما حدث فى مشاركة السيدة فاطمة مع الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، والسيدة أسماء مع الزبير بن العوام d، وغيرهن.

ومن هنا يظهر تهافت المزاعم الغربية بتهميش دور المرأة، وتصويرها بأنها تخضع للقهر والاستعباد، وأنها أسيرة لأوامر الرجل ونواهيها لا شأن لها معه، ولا اعتداد برأيها فى مواجهته.

ويشمل الخطاب الإسلامى المسلم وغير المسلم، إذ إن لكل منهما

حقوقا وواجبات ، فحق غير المسلم كالمسلم فى الحياة والكرامة وتوفير مطالب الحياة الضرورية ، وفى الخصوصية الدينية باعتباره عضوا فى المجتمع ، وحماية حقوقه تضحى مسئولية المجتمع الإسلامى كله ، ولا أدل على ذلك من قول الرسول : «ألا من ظلم مسلما أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته فأنا خصيمه يوم القيامة».

قبول الإسلام وتعايشه مع كل المخالفين

أما الدائرة الأكثر شمولاً فى التعايش مع الآخر مهما كان دينه ومعتقدده ، حتى لو كان خارج إطار الديانات السماوية وهو ما يعنى قبول أصحاب المعتقدات الوضعية والمشركيين من الصابئة والمجوس وغيرهم من الذين يعبدون الأرباب من دون الله على تعدد أشكالها وطقوسها ، واعتبارهم شركاء فى الحياة وشئون المعيش ، والتعاون فيما فيه خير البشرية ، وترك أجورهم وحسابهم على الله . وهو فكر غاية فى الإنسانية يعادى العنصرية والتعصب .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالصَّرِئَةَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

[سورة الحج : الآية ١٧].

ودلالة النص فى مقصود الكونية أو العالمية ظاهر ، فهو يقرر أنه لا حق لأحد فى إقصاء المخالف مهما كانت عقيدته سماوية أو غير سماوية ، فإنه يتمتع بحقوق الإنسان ، وهو يحوز الخلافة عن الله من منطلق أنه بشر ، فهذه الصفة وحدها بها يتمتع الإنسان بحق الحياة وما يتفرغ عنه من حقوق ، أما أمر العقائد فحسابهم فيها على الله .

البرهان طريق الاعتقاد

وليس صحيحا بالمرّة أن الإسلام دين عدوان وصراع ، وأنه يكره الآخرين ويفرض عليه نموذج الدينى وأسلوبه الحياتى. ذلك أن دعوة الإسلام تقوم على الحجة والإقناع لا السيف وشهر السلاح على الأغيار. وفي القرآن الكريم:

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٤٩].

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١١١].

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل الآية ١٢٥].

حماية حق الاختيار والحوار مع المخالف

ومجال حماية الاختيار، والحوار مع المخالف، وصون حقه فى الاختلاف مقرر بشكل قطعى وبات لا مساومة فيه ولا جدل حوله، وهو دعوة إلى تعاون الجميع على التوصل للحق والمصلحة.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٦٤].

والمسلم مطالب بالحفاظ على أرواح وحياة الآخرين

فى الحديث: «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم». وهذا يكمل المنظومة الإسلامية فى حقن الدم، وحماية حق المسلم فى الحماية.

يقول الرسول ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، وفي رواية: تؤكد الحديث الأول: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده». وهو ما يؤكد على رفض الإسلام للإرهاب، بل يعتبره جريمة حربية، وهي من الحدود التي يقرر لها الشرع عقوبة شديدة تناسب خطورتها وأثرها المدمر على المجتمع.

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة المائدة: الآية ٣٣].

بل إن الإرهاب يمارسه الغرب ضد المسلمين، لمجرد ممارسة الحق الشخصي في ارتداء المرأة الزى الذى يعبر عن الهوية الإسلامية، كما حدث مع الصيدلانية مروة الشربيني، وما فعله المتطرف الألماني معها بما يمثله من وحشية وعنصرية بغيضة من جانب متطرفين أوروبيين ضد فتاة مسلمة، بالمخالفة لتعاليم الأديان، وخرق للمواثيق العالمية، وعلى رأسها الميثاق العالمي لحقوق الإنسان.
